

تاريخ النشر: 2025-12-15

تاريخ القبول: 2024-8-8

تاريخ انتهاء التعديلات: 2024-8-2

تاريخ التسليم: 2024-5-4

TOWARDS A STRATEGIC PERSPECTIVE FOR CURRICULUM REFORM IN THE ARAB WORLD

Lakhdar bendada

Department of Humanities, Faculty of Social Sciences and Humanities, University of Saida - Dr. Moulay Tahar, Algeria 

ABSTRACT

It has become widespread in modern and contemporary educational heritage that "educational curricula" are the most influential in light of a developmental renaissance in a particular society, especially in the Arab world. Because of the importance of the latter, we have tried in this paper entitled: ((Towards a strategic perspective for reforming educational curricula in the Arab world)) to shed light on the following set of scientific and objective goals: First, to look at educational curricula as: a set of methods defined by objectives. Destined to attain education to the Supreme, as the foundation for human development. Then, secondly: highlighting the negative reality of the Arab educational curricula: in terms of their focus on indoctrination methods, and their neglect of a number of other activities, in terms of skills, talents, and free creativity. Finally: Focusing on the most important reform strategies: in terms of trying to implement some changes in the school curricula, and from there making education and teaching in the Arab world more meaningful and effective.

Keywords:- Education- Curricula- Educational Curricula

نحو منظور استراتيجي لإصلاح المناهج التعليمية في الوطن العربي

لخضر بن دادة

قسم العلوم الإنسانية، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، جامعة سعيدة - الدكتور مولاي الطاهر، الجزائر. 

الملخص

لقد شاع لدى التراث التربوي الحديث والمعاصر، في " أن المناهج التعليمية"، إنما هي الأكثر تأثيرا في ضوء نهضة تنموية لدى مجتمع معين، لاسيما في الوطن العربي. ولما لهذه الأخيرة من أهمية، فقد حاولنا على مستوى هذه الورقة الموسومة ب: ((نحو منظور استراتيجي لإصلاح المناهج التعليمية في الوطن العربي)) تسلط الضوء على مجموعة الاهداف العلمية - والموضوعية التالية: أولا النظر الى المناهج التعليمية بصفتها: مجموعة من الأساليب المحددة بأهداف مرسومة لبلوغ التعليم إلى الاسمي، باعتباره الأساس للتنمية البشرية. ثم ثانيا: تسلط الضوء على الواقع السلبي للمناهج التعليمية العربية: وذلك من حيث تركيزها على أساليب التلقين، وإهمالها جملة الأنشطة الأخرى، حيث المهارات، والمواهب، والإبداع الحر. وأخيرا: التركيز على أهم استراتيجيات الإصلاح: وذلك من حيث محاولة تنفيذ بعض التغييرات في المناهج الدراسية، ومن ثمة جعل التعليم والتدريس في العالم العربي أكثر جدوى وفعالية.

الكلمات المفتاحية: التعليم - المناهج - المناهج التعليمية.

المقدمة

يتفق أغلب الباحثين في حقل السياسات التربوية (Field of Educational Policies)، أن ماهية المناهج التعليمية، كثيرا ما تعكس ذلك النظام المتكامل من المعايير، والقيم، والخبرات ..، المتضمنة في شكل محتويات تعليمية (Educational Contents). وأن فاعليتها قد لا تقاس إلا بمقدار التّجرب المعرفي الذي من المحتمل

ان تحدثه هذه الاخيرة .

بمعنى: التحوّلات الجارية في ميادين المعرفة المختلفة، والتّطور التّقني؛ وآثاره الكبيرة في مجال الاتّصالات، والمواصلات...، والتّغيرات الاقتصادية : (Economic changes) وما قد يواكبها من تحوّلات أخرى في النّظم الاجتماعية (Social systems) والقيمية؛ وما قد تسفر عنه - ايضا - من أعراف، واتّجاهات، وقيم جديدة . لكن المألوف في العالم العربي، أن المناهج التعليمية (Curriculum) غالبا ما تبدى الواقع الأسوأ من حيث اشكالها ومضامينها. حيث الطّابع النظري الأكاديمي، والتّلقين المعرفي، على حساب الجانب التطبيقي المهاري. هذا بغض النظر عن مدى قصور مساهمتها في تحقيق أهداف التربية (Objectives of breeding) بشكل سليم وفعال .

ذلك مما تطلب في النهاية - على النحو الذي تريده هذه الورقة - التفكير في منظور استراتيجي بديل لإصلاح المناهج التعليمية (Curriculum) القائمة. أي النحو التربوي الذي يكون قادرا على بناء شخصيات حرة مرنة، قادرة هي الاخرى على المشاركة والنقد البناء، والممارسة المجتمعية الصحيحة.

مشكلة البحث:

طالما أنّ المنهج في البيئة التربوية العربية، قد يبدي مظاهر شتى للتأزم - والفشل، فإنّ الدراسة نفسها ستشكّل حينئذ، موضع الاشكالية الرئيسيّة التّالية: (ما واقع المنهج التعليمي العربي؟، وما هي أهم البدائل الاصلاحية المقترحة، لإعادة تفعيل هذا الاخير في ضوء السياسة التعليمية العربية؟) بل أنّ هذه الاشكالية، تبدو مهمّة، وبالتالي؛ فهي تحيلنا إلى طرح الأسئلة الفرعية (Sub-questions) التّالية؛ (ما المنهج التعليمي؟)، (ما متضمنات هذا الأخير، في ضوء المحتويات البيداغوجية السائدة؟). ثمّ (ما هي أهمّ المشاكل، والتّحدّيات، التي تحول، في ضوء البيئة التعليمية العربية، دون تحقيق المنهج التعليمي المنشودة؟). و(ماهي - بالتّالي - أهمّ الآليات الاستراتيجية المقترحة (Strategy Mechanisms)، لأجل استيعاب المنهج التعليمي، الأكثر حاجة إلى التنمية، والتّجديد الحضاريين؟).

أهداف البحث:

تستهدف هذه الدراسة، تشخيص أهمّ المشاكل المتربّبة، في ضوء المناهج التعليمية، الممتدة على صعيد النظم التعليمية العربية الحديثة. أي بما يماثل الأزمة، المعبّرة عن نفسها، في أبعاد جوهرية للمناهج العربية المتخلّفة، أو المستضعفة. ممّا يمكن أن نتطّلع في الأخير، إلى اقتراح نوع من ((الاصلاح))، بالرجوع إلى التّراث العربي المحلّي، والاستمداد منه، على نحو مناسب للمناهج التعليمية المنشودة. ومن جهة أخرى: محاولة ايجاد شيء من التكييف "النسقي" للمناهج: على النحو الذي قد يؤدي الى وفاء التنظيمات التربوية العربية بالحاجيات المادّية والمعنوية، المتزايدة لدى المواطنين . ثم أخيرا مراعاة سبل تحديث المناهج التعليمية العربية في إطار تضمينها جملة القيم والمعايير السياسية والاجتماعية الحديثة، وذلك لكي تصبح قادرة على أداء وظيفتها بنجاح أثناء تنفيذ عملية التحديث والتنمية في مجتمعات العالم العربي.

أهمية البحث:

إنّنا نرمي من وراء هذه الدّراسة، إلى تقصّي البحث الدّال على ماهية المناهج التعليمية (educational

(curricula) بل أن الدراسة، يمكن أن تهتم - أيضا - بتفسير ظاهرة المناهج التعليمية، في ضوء التحليل البيداغوجي لفعالية هذه الأخيرة، ومحتواها. التحليل الذي يحدّد في نظر: محلي السياسات التعليمية....، الغاية الأساسية التي تدعم شرعية المنهج الدراسي : حيث الرّبط المحكم بين حياة المعلمين وسائر خبرات المجتمع التعليمية، ولا سيّما القابلية للتّجسيد الواقعي بشكل هادف، على سبيل مجارة التّقدم والتّطور في الحياة الاجتماعية .

وطالما أنّ المنهج في الأصل المفاهيمي - والنظري، قد يبدي مثل هذه الحالات، فإنّ هذه الدراسة ستشكّل حينئذ، أهمية بالغة، لإعادة اصلاح المنهج، في ضوء أزمة النّسق التربوي العربي. وذلك من خلال، أطر تحليلية جديدة، تتلاءم أكثر، مع النّسق البيداغوجي السائد، ومع المتغيّرات الأساسية، الفاعلة فيه. حدود البحث: الزمنية، والمكانية، والبشرية، والموضوعية.

الدراسات السابقة:

يمكن تحت هذا العنصر، مراجعة أبحاث، ودراسات عدّة، حاولت أن تتخصّص، بشكل أو بآخر، في مجال دراسة المناهج التعليمية، لاسيما في علاقتها بالبيئة العربية. إذ يمكن أن التّطرق لها، من زاوية أهمّيتها على هذا الصّعيد كالآتي:

- دراسة ل : جميلة حيدرة، بعنوان: ((المناهج التربوية كواجهة ثقافية للمجتمع))، المنشورة ضمن مجلة العلوم الاجتماعية والانسانية لجامعة المسيلة : العدد 12، جوان 2017. حاولت النظر الى المنهج التعليمي (Curriculum) من حيث أنه: مجموع الخبرات المراد توصيلها لمجموعة متعلمين في ظل بيئة تعليمية منظمة. كما نظرت اليه في سياق الدراسة بأنه: يمثل العنصر الوسيط بين المعلم و المتعلم. على أن الباحثة قد لاحظت ان المنهج قد تختلف اساسياته من مستوى تعليمي لآخر، ومن مرحلة عمرية لأخرى، مما يجعل منهاج كل مرحلة يأخذ طابع الخصائص المترابطة بتلك المرحلة.

- دراسة ل : عبد عليّ محمّد حسن، بعنوان: ((رؤية مستقبلية للمناهج المدرسيّة))، المنشورة ضمن مجلة العلوم التربوية والنفسية، كلية التربية لجامعة البحرين: العدد 4، ديسمبر 2001. حيث يشير هذا الاخير في إحدى توصياته : أنّ المناهج التعليمية الراهنة، خاصة في الوطن العربي: قد لا تستوعب التغيرات الحالية والمستقبلية التي تفرضها طبيعة التحديات المحلية والإقليمية والدولية. مما يدعو الباحث الى ضرورة تغيير محتوياتها لتواجه هذه التحديات. بحيث أنه : (كلما عدلت لتلحق بذلك التغيير، كان التغيير قد قطع شوطا آخر يقتضي تعديلا جديدا في المناهج وهكذا).

- دراسة ل : علي أسعد وطفة، بعنوان ((الرّسائل الصّامته في المدرسة)). المنشورة ضمن العدد 94 من المجلة التربوية، مارس 2010. حاول من خلالها ابراز أهم القيم التسلطية التي يمكن أن ينزاع اليه المنهج التعليمي، بالإشارة الى حالة الوطن العربي حيث: القهر والاحباط والاغتراب . فضلا عن : التّحقير، والابتدال، والتّهكم لدى

الطفل المتمدرس . والازدراء، والبخس، وتفشي الاحساس بالقصور، والدونية. فضلا عن الإكراه، والتمايز، والاصطفاء، والانتقائية الشديدة.

هذا بالإضافة الى أدبيات أخرى، حاولت أن تظهر الحالة الايجابية للمناهج من الناحية النظرية، وذلك لما لها من امكانيات مادية- ومعنوية، تمكنا بالطبع، من امداد المتعلم، بروح الخدمة، ووسائل الفاعلية، والتحكم في النفس.

فرضيات البحث:

يبدو أنّ اشكالية الدراسة، في حاجة جدّ ماسّة، إلى منطلقات افتراضية شتّى ، قد توضع في الحسبان، ما يأتي ذكره: أنّ المناهج بصفتها مجموعة الخبرات التربوية - الثقافية والاجتماعية والرياضية والفنية التي تهيوها المدرسة لطلابها، قد يجعل من الاصح القول بأنها: أداة فاعلة لمساعدة التلاميذ على النمو الشامل في جميع النواحي. لذلك تنشأ الحاجة لدينا، إلى القول بأن ((يرتبط تحديد ماهية المناهج التعليمية، بمدى تطوّر الأهداف التنموية التي وجدت لأجلها)).

ثمّة ملاحظة أخرى، تفرض نفسها؛ وهي أنّ ما آلت إليه المناهج العربية، في ضوء عامل "التأثير المحلي-والعالمي الممتد" من مظاهر للتقهقر، والانحطاط المستمر، دون الرجوع إلى التراث التنموي - المعاصر، والاستمداد منه، جعل من الصعب ايجاد أيّ محاولة ((تحديثية)) للإصلاح، ممّا بدى حريّا أن نفترض بأنّ (تجاوز معضلة المناهج التعليمية في الوطن العربي، قد تتطلب القيام بعملية تأصيل بيئي- وحدائي جديد، يأخذ وضعيات التربية المنشودة في البلاد العربية)).

المنهجية: إجراءات البحث وأدواته:

على قدر هذه الفرضيات، فإنّ مناهج عدّة، قد استحقّت منّا، إدراجها ضمن هذه الدراسة، وهي كالاتي؛ أولاً؛ المنهج الوصفي (*Descriptive Method*). وذلك لاعتباره، أحد أشكال التحليل، والتفسير العلمي المنظم، لوصف ظاهرة المناهج التعليمية، ودراستها، عن طريق؛ جمع البيانات، والمعلومات الدقيقة الخاصة بها. ثانياً؛ المنهج الجدلي الحواري. وذلك من زاوية أنّه أسلوب قديم، في الارتقاء بالمناهج الدراسية، ومعرفتها، من خلال؛ الانتقال عبر السّؤال، من تصوّر إلى آخر، ومن حقيقة إلى أخرى، بغية الوصول إلى المعرفة. إذ يكون للسؤال الدّاتي (المونولوج *Monolocauc*)، المتضمّن تأسيساً صريحا، لافتراضات مسبقة، أثرا كبيرا في الوصول إلى أعمّ التّصورات، وأعلى المبادئ، التي قد تحكم تلك الافتراضات.

ضمن المناهج المستخدمة أيضا، نجد ثالثا؛ المنهج التاريخي- المقارن؛ وذلك من كون أنّه، يمثل نظيرا للطريقة التجريبية، في العلوم الطّبيعية. ولما له من أهميّة، في اثبات جدوى الفرضيات، في كلّ تطبيق له، على صعيد العلوم الانسانية، والاجتماعية. إذ غالبا ما تكون الديناميات المجتمعية، والتّحوّلات التربوية، والطرق، والمناهج، والمحتويات، والمواد، هي وحدة التحليل قيد المقارنة عموماً التالية (March 2002, Pyenson): . فحينئذ، يبدو هذا الأخير، مهماً جدّا، لإجراء دراسة موازية، للمناهج التعليمية في الحالتين؛ العربية - والعالمية، قد يُظهر على مدى الفكر، والواقع، أهمّ الاختلالات التاريخية الواقعة، والأسباب المفترضة لها.

الإطار النظري للدراسة:

المحور الأول: مفهوم المناهج التعليمية:

ماذا عن نظرية المناهج؟ إنها تتضمن بلا شك، جانبا من الفائدة، وذلك بالقدر الذي تستجيب فيه بشكل متنامي، للتوجهات الأيديولوجية الخاصة بالتعليم. وكذا التحوّلات التي تشهدها الحياة الاقتصادية والاجتماعية. وفي هذا يكمن بُعدها الأكثر بدها بصورة مباشرة. بمعنى أنّ الخيارات، والقيم، إنّما هي نفسها، المنطلقات التي قد تقوم عليها خطط المناهج الدراسية والمحتويات التعليمية والتربوية:

أولا - التعريف بمفهوم المناهج التعليمية:

هي نظام متكامل من المعايير، والقيم، والخبرات ..، المتضمّنة في شكل محتويات تعليمية. أي بما يمكن للمؤسسات التعليمية، مهمّة نقلها إلى المتعلّمين، فيما يقصد بإيصالهم إلى مرتبة الكمال، وتحقيق الأهداف المنشودة.

فهكذا يبدو أنّ المنهج التعليمي، ليس إلّا الوجه الآخر، لتحوّلات السياسة التعليمية، وتأثرها ببعض الظروف والعوامل الاقتصادية والاجتماعية، فما شهدته مجتمعات أوربا الغربية، إلى المرحلة ما بعد القرن العشرين، كان له الأثر البالغ، في زيادة وضوح السياسة التعليمية وعصرنتها فقد طرأت على هذه الأخيرة، تغييرات جذرية شاملة، عكست في النهاية، إحداث تنوع كبير، في محتويات التعليم، وانبثاق مظاهر المنهج التعليمي الحديث. لا سيّما المبادئ، ذات الصلة، ب تنمية قوى الطفل الجسمية والعقلية، واكسابه طرق التفكير السليم، والمحافظة على الصحة (حيدرة، جوان 2017)، وسائر الأخلاق الحميدة.

ثانيا - فعالية المناهج التعليمية:

حيث أنّ سلوك منهج تعليمي معيّن، إنّما يعدّ مشروطا بمتواليّة واسعة من المتغيّرات، التي يحدث أنّ تؤثر فيه، ولعلّي من أبرزها (حسن، ديسمبر 2001): التّفجر المعرفي؛ وما صاحبه من تحوّلات هائلة في ميادين المعرفة المختلفة، والتّطور التقني؛ وآثاره الكبيرة في مجال الاتّصالات، والمواصلات...، والتّغيرات الاقتصادية؛ وما واكبها من تحوّلات هائلة بفعل كثير من العوامل السياسية، والايديولوجية....، والتحوّلات الهائلة في النّظم الاجتماعية والقيمية؛ وما أسفرت عنه من أعراف، واتّجاهات، وقيم جديدة .

لكن فيما يبدو، أنّ قيمة أيّ منهج تعليمي ما، لا بدّ أن تحدّد في النهاية، بقوة الشّروط التي تدعمه. حيث الرّبط المحكم، بين حياة المعلّمين، وسائر خبرات المجتمع التعليمية، ولا سيّما القابلية للتّجسيد الواقعي بشكل هادف، على سبيل مجارة التّقدم والتّطور في الحياة الاجتماعية (مجدي، 2000). وكذا الوفاء بحاجيات، ومتطلّبات المعلّمين من ناحية، وبحاجيات، ومتطلّبات المجتمع، من ناحية ثانية .

ثالثا - محتويات المناهج التعليمية :

لعلّي "القيم المواطنة"، إنّما هي أكثر القيم تضمنا في المناهج التعليمية مهما كان مكانها وزمانها. فقد أمّنت السياسات التعليمية، لدى الحكومات، كثيرا من مبادئ الهوية الوطنيّة - والقوميّة القابلة ل التحقيق من قبل نظمها التعليمية. فمن "الناحية الدينية"، نجد أنّ مخرجات المناهج التعليمية في بعض الحكومات من العالم، كثيرا ما تحرص على تكوين جيل متشبع بمبادئ الدين وقيمه الروحية، والأخلاقية. وذلك لدرجة أنّ أصبح

أيّ عائد تعليمي - في الوطن العربي على سبيل المثال - لأن يكون وطنيا أو قوميا، يجب أن يكون بالأحرى، اسلاميا، وعروبيا.

فضلا عن ذلك، يعتبر "الانتماء الوطني - والقومي"، محتوا آخر للمناهج التعليمية. وفي هذا يكمن بلا شك، التّضمّن الكبير للقيم الوطنية والقومية، التي هي في متناول كتب الدّراسات الاجتماعية. وبشكل خاص، كتب الدّراسات الاجتماعية والوطنية، المطوّرة لطلبة التّعليم المتّوسط في غالبية بلدان العالم العربي. حيث غالبا ما نجد قيم (مصر، 2010) : حبّ الأوطان، و الشّهادة في سبيل الأوطان، و الحفاظ على وحدة الوطن، والحفاظ على حرية الوطن، و نفي العدوان، والاعتزاز برموز الوطن، تقدير الجيش في حفظ الوطن، و تقدير معالم الوطن، و تقدير الشّخصيات الوطنية والقومية..... وغيرها. وهذا كله يصب في اطار إعداد المتعلّم الصّالح، المعتر بوطنه، وبهويته، الانتماء إليه.

هذا ونجد "القيم الديمقراطيّة"، إنّما هي كمثال آخر لمحتويات المناهج التّعليمية العامّة. اذ تحاول محتويات المناهج التّربوية، في كثير من بلدان العالم، أن تتضمّن أقصى ما يمكن أن يدفع بالطلّاب المتمدرسين إلى تكوين ثقافة سياسية ديمقراطية. حيث التّأكيد المنصوص على قيم الحوار، والاحترام، والمشاركة، والانصاف، لا سيما، قيم الحرّيّة، والتّسامح السائدة في الديمقراطيات الغربية المعاصرة.

ففي بعض المناهج التعليمية العربية- مثلا-تحاول المواد الدّراسية أو المقرّرات التّعليمية - بحسب الجدول رقم (1) - أن تتضمّن قدرا غير محتشم من المعارف، والقيم، والمهارات الديمقراطية. فغالبا ما يكون التركيز على حرّيّة التّفكير، والتعبير، واحترام الرّأي المخالف، والتعريف بنظام الحكم، ومؤسسات الدّولة، وتحديد دورها، في خدمة الفرد و المجتمع.

الجدول رقم: 1 يوضح القيم الديمقراطيّة المتضمّنة في كتب التّربية المدنية ببعض بلدان العالم العربي

القيم	المجال
احترام الذات	القيم الديمقراطيّة
احترام الحوار	
احترام الرّأي والرّأي الآخر	
التّسامح	
التّعاون والمشاركة	
العدل الاجتماعي	
الدّعوة للإبداع	

المصدر : جمهورية مصر العربية، وزارة التّربية والتّعليم، التّربية الوطنية؛ المشاركة السياسية في المجتمع المصري لطلبة الصف الثّالث ثانوي، مصر؛ بنك المعرفة المصري، 2010، ص. 88.

فكما يجب ملاحظته حيال الجدول، أنه غالبا ما يكون التركيز على قيم الديمقراطيّة العملية- أو الوظيفية، والتي قد تتّصل، ب تنمية، وتدعيم الاتّجاهات، والممارسات الديمقراطيّة التّالية؛ الحرّيّة، والمساواة، والعدالة الاجتماعية، وأسس المشاركة السياسية، والعمل الحزبي...، أي من خلال؛ مراعاة تكامل البعد المعرفي، والمهاري - الأدائي، حسب طبيعة القيمة الديمقراطيّة التي يتضمّنها المنهج الدّراسي، وأغلبها نجد ؛ طرق وضع الدّساتير،

ومصادر القوانين، صور الأحزاب السياسية في البلد، والمؤسسات المعنية بها، والمشاركة السياسية، باعتبارها الأساس لممارسة الديمقراطية.

فضلا عن ذلك، فإن ما يدعى بـ: "القيم الانسانية - والعالمية"، قد يعتبر من بين أهم المبررات الأخلاقية لوجود المناهج التعليمية والأخذ بها في ضوء سياسة تربوية معينة. إنها على كل حال: مجمل المناهج، والمقررات، والأنشطة المدرسية - والجامعية، المتخذة، لأن تكون - بحسب الجدول رقم 2- الوسائط الأساسية، للتثنية على حقوق الانسان. وذلك من حيث؛ احترام الحقوق، والحريات الأساسية، والتسامح، والمساواة، والسلام بين الأفراد، وداخل المجتمعات، وبين الأمم.

الجدول رقم 2: يوضح القيم الانسانية، المتضمنة في مناهج التربية المدنية في بلدان العالم العربي.

القيم	المجال
صون حقوق الطفل	القيم الانسانية - والعالمية
رفض التمييز العنصري	
حماية البيئة من التلوث	
الرفق بالحيوان والنبات	

المصدر: الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية، وزارة التربية الوطنية، "كتاب مذكرات مادة العلوم الاجتماعية"، الجزائر، مقتضية مادة العلوم الاجتماعية، فيفري 2011، ص. 81.

فالملاحظ من الجدول أن المناهج التعليمية، قد تشكل اطارا لكثير من القيم الانسانية- والعالمية، المضمنة في المقررات التربوية، لدى بعض وزارات التربية والتعليم في العالم العربي. ومما يجب ملاحظته، أن القيم التي وضعت في الجدول، إنما تشترك بكونها؛ قيم انسانية، أكثر تعزيزا لكرامة الانسان، وقدراته، ورفاهيته، في علاقته بالآخرين، وبالطبيعة.

المحور الثاني: واقع المناهج التعليمية، واستراتيجيات الاصلاح.

ومع ذلك، فإن من عيوب المنهج التعليمي، أنه محدود القدرة على التغيير. كما أنه سرعان ما يقع في التصلب، لغايات، وإكراهات خاصة، متمركزة حول الذات.

الأمر يتعلق هنا، بظواهر سلبية أكثر تعقيدا، تتضمن نوعا من التكييف، والتعبئة، والضبط الاجتماعي، لإعادة انتاج الواقع بكل سلبياته. حيث تعزيز سلطة الطبقات، والتقسيم الاجتماعي، والعبودية والاكراه (وظفة، مارس 2010). وكل ما له صلة، بزيادة مصلحة النخب البرجوازية، وإعادة علاقات الانتاج الرأسمالية، أو على

الأقل محاولة تعزيزها. ولهذا فإنه أصبح ينظر لمحاولة إعادة إصلاح المناهج على أحسن صورة تعليمية وتربوية متجانسة من ضمن أبرز التحديات التي تشهدها منظومة التعليم في الدولة الجزائرية وسائر دول العالم العربي. أولاً - أزمة المناهج التعليمية، ومشكلاتها:

إذ يبدو أنّ ثمة، حالة من التحديات، قد تعكسها محتويات المناهج التعليمية، منها أولاً: "طغيان الجانب النظري، وإهمال الجانب التطبيقي".

فهذه المناهج، إنما يغلب عليها، الطابع النظري الأكاديمي، والتلقين المعرفي، على حساب الجانب التطبيقي المهاري. ومن بين أهم المظاهر في ذلك: افتقار الطلبة ما قبل الجامعي، إلى المهارات الاجتماعية، المفضية إلى القصور، دون اكتساب القدر الضروري منها. وسيرورتهم في النهاية إلى مخازن للمعلومات، يطلب منهم استرجاعها وقت اللزوم، أو مجرد كائنات متأقلمة وسهلة القيادة، يقل وعيها أكثر بالعالم المناط بها تغييره. ثم من بين التحديات نجد أيضاً: "قدم المناهج التعليمية بما لا تتوافق مع متطلبات البيئة التعليمية الجديدة". فالكثير منها ماتزال تقليدية في محتواها ومضامينها، صلبة في أساليبها وطرقها، ورافضة لمنطق التجديد، والتحديث. فهي تقتصر إلى الاتساق، بين محتوياتها وأهدافها، وبين قدرات التلاميذ، ومهاراتهم، وميولهم، وواقع المجتمع، ومشكلاته، وحاجاته (أشرف، 2008).

فضلا عن ذلك، فإنها تبدوا بعيدة كل البعد عن حاجات المتعلمين، وأنها غير قادرة على سد حاجيات التنمية والتحديث، كما أنها غير قادرة على توجيه الشباب إلى مطالب العمل الجيد، مع ضعف العناية بالدروس والجوانب التطبيقية.

ضمن هذه التحديات نجد أيضاً: "عدم ارتباط المنهج الدراسي بالبيئة المحيطة بالتلميذ". فأكثر ما يميزها هو أنها تعكس حالة من الاغتراب. لاسيما الاحساس الشامل من جانب الفرد بالغربة، والاغتراب، وإعاقة نمو الاستعداد، واكتساب الصفات السلبية، دون المشاركة، لاسيما في مرحلة النضج. وهذا بما يدفع الثقافة التربوية بدورها، إلى منحدرات التخلف الاجتماعي، والحضاري.

مجمل القول أنها: تفتقد القدرة على توفير الفرص لإيجابية المتعلم ونشاطه في عملية التعليم، وعلى توفير الفرص لتنمية مهارات التعلم الذاتي والعمل الايجابي. كما أنها لا تراعي الفروق الفردية بين المتعلمين وقلة قدرتها على إحداث التزاوج والتداخل بين التخصصات في عصر يتسم بالتخصصات البيئية.

هذا وقد تبدي "المناهج التعليمية" التحدي الأكثر بروزاً، من حيث "غموضها، وعدم مسابقتها لالتغيرات المعرفية السريعة الراهنة".

فكثيرا ما تبدو سيئة الترتيب، وكثيرة جداً، بالمقارنة مع سنة دراسية قصيرة، وهي في هذا تعدّ مبنية، على ترجيح كفة التعليم الكمي، على كفة التعليم النوعي. والاكثر من ذلك: أنها تعكس حالة من الاغتراب والاستلاب، وذلك بما فيها من مفارقة ومجاوزة للواقع ومطالبه، والمستقبل وتحدياته، مما يؤدي إلى حالات من الاحباط والفشل. فلا هي تراعي مطالب البعد الوطني

وظموحاته وواقعه، ولاهي تراعي البعد المحلي في كل بيئة لها خصوصياتها حيث المناهج موحدة وغير مرتبطة بالبيئة المحلية (مجدي م.، ماي 2015).

لاسيما مشكلة إعداد المناهج من قبل أشخاص غير متخصصين، مما يعكس عدم التوظيف المناسب للتقويم في عمليات بناء المناهج، والتمسك بالمركزية، والقصور في التعامل مع المنهج وفق مفهومه الصحيح، وإحباط أولياء الأمور من هذ المناهج، وإهدار ثروة الدولة من الذكاوات.

ومن جهة أخرى، فإنّ المناهج، والكتب المدرسية، قد تبدي بشكل سيئ "واقع التقليد الأسوأ للمناهج التعليمية الغربية": (هذا بالإشارة الى حالة المناهج العربية). حيث: عدم استيعاب النظام والمناهج التربوية السائدة لعملية تلقين مبادئ هوية وطنية واضحة لدى المجتمع العربي، وذلك لسبب الاختلال والتناقض الواقع في سلم القيم والمعايير التي تحكم وجود المجمع وتنظيمه وتضبط حركته. ثم غياب مناهج بديلة تؤكد على الهوية الثقافية العربية في جميع مناحي العملية التعليمية التربوية وتقرر القيم الروحية المستقاة من تراث أمتنا (الأشرف، 2007). وذلك خاصة إذا ما اقترب الأمر بتلك السياسة التي مست إبعاد اللغة العربية القصصي أو التخفيف من مزاحمتها للغة الأجنبية، وجعلها في وضعية المغلوب لصالح هذه الأخيرة كأداة للتغيير في المدارس، كأداة للكتابة والتأليف، وأحيانا كأداة للتخاطب.

وهذا يعني؛ التساؤل أيضا، عما إذا كانت صورة العربي - الفلسطيني، في مناهج التربية الصهيونية، ملائمة أم لا؟ حيث أنّ الحقد، الاستخفاف، الاستهزاء، النذالة، الدناءة....، هي العبارات المتضمنة دائما، وغير مشروعة أبدا، أو ب الأخرى، هل أنّ القرآن، والأحاديث النبوية الشريفة، المتضمنة في بعض مناهج التربية العربية - خلال أحداث 11 سبتمبر 2001- هي أساس العنف، والكراهية، والانتقام، لدى المتعلمين العرب؟ في حين أنّ ذلك، إنّما يمثل بالمدى الواسع، مصدر الالتزام الخلقى، والمناعة الاجتماعية لها، ولما يتصل بتحديد الصواب والخطأ، والمقبول والمرفوض باستمرار (النقيب، فيفري 2011).

ضمن هذه التحديات، في ضوء الواقع السلبي للمناهج، نجد أنّ هذه الأخيرة كثيرا ما تنزع ل الأخذ، بـ "قيم التسلط"، خاصة في المجتمعات الاسيوية. حيث أنّ استقراء واقع المناهج المدرسية في هذه المجتمعات، غالبا ما يسفر عن الاعتقاد بأن هذا المناخ يحمل من امكانيات القهر والاحباط والاعتراب أكثر مما يحمل من إمكانيات تشجيع الابداع والمشاركة والانتماء. لاسيما تشكّل الحكم السلبي لدى الطفل، حيث؛ التحقير، والابتدال، والتهمك، والازدراء، والبخس، وتفشي الاحساس بالقصور، والدونية. فضلا عن الإكراه، والتمايز، والاصطفاء، والانتقائية الشديدة.

بل الأخرى من ذلك، أنّ جل المحتويات التعليمية السائدة، إنّما تعمل على خلق ثقافة سياسية "ملقنة" تستهدف تمجيد السلطة السياسية بالدعاية لها أكثر مما تستهدف تكوين شخصية مشاركة بدورها في النظام السياسي (الخميسي، 2009). حيث تكاد الكتب تخلو من كل ما يلزم لخلق إنسان ديمقراطي، مثل: الديمقراطية،

الحرية، المساواة، أصبحت كلها مجرد شعارات ومعلومات تلقن وتحفظ، لا تتفق في مضمونها ولا في جوهرها مع الممارسات اليومية لمجتمع الطلاب العربي.

ثانياً - نحو منظور بديل لإصلاح المناهج التعليمية

نحاول ضمن هذا الصدد، طرح استراتيجية بديلة لإصلاح الواقع العملي للمناهج. حيث يكون التطرق هنا أجدر إلى آليات التحديث "البيداغوجي". لاسيما آلية التكييف "النسقي". فضلاً عن آلية التأصيل الحضاري البديل للمناهج. فهذا كل ما سنعرض إليه بالتفصيل، قصد تفعيل كفاءة النظم التعليمية - والتربوية:

- التحديث "البيداغوجي" للمناهج:

فكل ما تسعى إليه المجتمعات حالياً - بحسب تعبير ولبرت مور Wilbert moore - هو الانتقال من الوضع التقليدي إلى الوضع الحديث. وذلك عبر الاستعانة بمناخ التكنولوجيا والآلية، أو ما يتبع ذلك من تغييرات في التنظيمات الاجتماعية، والبنية الثقافية .

وبالتالي، فإن أي عملية جادة لإصلاح المناهج، لا بد أن تراعي سياسات التحديث (Modernization) القائمة في المجتمع. ولأن نحكم على مدى حداثة المناهج من عدمها، لا بد أن ننظر إلى مدى التنوع والعدالة المتضمنة في أساليب التعليم وبرامج التقويم في مجتمع معين. ثم قدرة هذه الأخيرة على بناء شخصيات حرة مرنة، قادرة على المشاركة والنقد البناء، وممارسة الديمقراطية الصحيحة.

وعليه فإن ما تهدف إليه الاستراتيجية المقترحة هنا، هو تطوير منظومة التعليم والمناهج التربوية في إطار تضمينها جملة القيم والمعايير السياسية الحديثة، وذلك لكي تصبح قادرة على أداء وظيفتها بنجاح أثناء تنفيذ عملية التحديث والتنمية السياسية في مجتمعات العالم الثالث، وتحولها إلى أنظمة أكثر انفتاحاً على نظم دولية تؤمن بالديمقراطية، وحقوق الإنسان، والتعددية السياسية (قمير، 2006).

- التكييف "النسقي" للمناهج:

حيث أن الأمر يتعلق بإمكانية، الإجابة، عن السؤال التالي: ما الذي يتيح للنظام التعليمي (system) أن يستمر؟ أو كيف يمكن للنظام التعليمي، أن يحوّل المطالب (Demands) إلى مخرجات، وبالتالي يحافظ على ذاته عبر الزمن؟. ثم أن النسق التعليمي - بهذه الصفة بحسب تعبير Easton - قد يكون ذا أهمية كبيرة بالنسبة إلى وفاء التنظيمات التربوية بالحاجيات المادية والمعنوية، المتزايدة لدى المواطنين، وارساء دعائم التنمية الذاتية المستمرة.

فلا يكون للنسق التعليمي، أدنى وظيفة من التكيف والاستقرار، دون أن تكون ثمة مناهج تربوية، ذات تضمن كبير لآمال وطموحات المتعلمين، وحاجات البيئة، ومطالب التنمية. فيجب على الأقل، أن تأخذ المناهج التربوية لحظة اعدادها، آراء الخبراء التربويين في المجتمع، وإجراء دراسات تحليلية للمناهج الحالية، من حيث: الأهداف، والمحتوى، وطرق تدريسها. وذلك كله لمعرفة مدى مساهمتها في تحقيق أهداف التربية بشكل سليم وفعال (مسعود، جوان 2010).

- التأصيل "الحضاري" للمناهج:

تكمن هذه الاستراتيجية، في وجوب وضوح المناهج التعليمية، و وجوب انبثاقها من وحي المرجعية، وذلك

من خلال تلقين الناشئ العربي - المسلم، علم اصلاحي، توحيدى، يؤمن بمرجعية الوحي، ودور العقل الانساني في فهم تعاليمه وكلياته، قصد تنزيلها على الواقع المعيشي، الموعود بالرّفاهية والاستقرار (سانو، 1993).... وهو نفسه البديل الحضاري المطلوب، الدّاعي بملائمة المناهج التّعليمية للواقع، وتلبية حاجاته الأساسية.

الأمر يتطلب أن تكون مناهج التعليم نابعة من واقع المجتمع العربي، وليس فكر منقول من فلسفات مجتمعات أخرى، بحيث تكون المناهج و المحتويات وطرائق التدريس، على صلة وثيقة بالمجتمع، يعكس متغيراتها، و تتعكس فيه هيا أيضا. وبالتالي يكون الهدف الموجه أساسا نحو تغيير هذا الأخير، وليس مجرد المحافظة عليه. بل أن ثمة من يدعو في أن توضع المناهج الجامعية بما يتوافق مع الاحتياجات التنموية للمجتمع الذي تنتمي إليه هذه الجامعة، مما يفرض عليها أن تستمد فلسفتها التربوية من فلسفة هذا المجتمع وقيمته، وتكسب هويتها من هوية هذا المجتمع، وتسعى إلى تطويرها حسب متطلبات العصر الحديث. ومن ثمة نقلها إلى الأجيال القادمة مع الحفاظ على المبادئ الأساسية التي تشكل هوية المجتمع الوطنية.

النتائج والمناقشة:

- لقد أوحى لنا مقاطع هذه الدراسة بالعديد من النتائج ذات الصلة المتعلقة إصلاح المناهج التعليمية في الوطن العربي، إذ يمكن أن نعرض لهذه النتائج بالتفصيل في ضوء فرضيتي الدراسة كالاتي:
- أهم ما تخلص إليه الدراسة في ضوء الفرضية القائلة: - أن ((يرتبط تحديد ماهية المناهج التعليمية، بمدى تطوّر الأهداف التنموية التي وجدت لأجلها)). هو أن المنهج الدراسي، إنما يعتبر من المواضيع التربوية المهمة. وذلك بوصفه أساس التربية، وأداة مجتمعية ودولية مهمة لتحقيق الأهداف التي تسعى إليها الدول لبناء مجتمعاتها، وتحقيق الخطط التنموية الشاملة على المدى الطويل والقصير.
 - ثانيا: النظر الى المناهج التعليمية في ضوء نفس الفرضية الاولى، على انها وسيلة اساسية لتشكيل وتقويم سلوكيات أفراد المجتمع في الحاضر والمستقبل: لأنها تزود الطلبة بالمفاهيم والحقائق التي تحفزهم على البحث والاستمرارية في طلب العلم والتعلم، كما أنها تحد من ظاهرة الاعتماد على النقل والتقليد، إن كانت أسسه متطورة وفعالة.
 - في حين يخلص عن الفرضية القائلة: ((تجاوز معضلة المناهج التعليمية في الوطن العربي، قد تتطلب القيام بعملية تأصيل بيئي- وحدائي جديد، يأخذ وضعيات التربية المنشودة في البلاد العربية))، نتيجة مفادها أن الأعراض السلبية الناجمة عن تدني مستوى المناهج التعليمية في العالم العربي، اعتبرت من بين السيناريوهات المحتملة في تعطيل أو تأجيل مسيرة التحول التربوي في المنطقة الأمر الذي شكل حالة تربوية سلبية حال بموجبها دون تشكيل نظام تربوي قوي وفعال.

التوصيات:

لذلك تأكد لدى محلي السياسات التعليمية - العرب إلى اليوم: أن نهضة الحالة التربوية - العربية، إنما تتوقف كل التوقف، على طرح استراتيجية بديلة لإصلاح الواقع العملي للمناهج. حيث يكون التطرق هنا أجدر الى آليات التحديث "البيداغوجي". لاسيما آلية التكيف "النسقي". فضلا عن آلية التأصيل

الحضاري البديل للمناهج. فهذا كل ما سيؤدي - بالطبع - الى تفعيل كفاءة النظم التعليمية - والتربوية في العالم العربي.

المصادر والمراجع:

- السعيد أشرف. (2008). الجودة الشاملة في المؤسسات التعليمية بين رؤى ما بعد الحداثة والرؤية الاسلامية. جامعة المنصورة: دار النشر الجديدة .
- الطاهر بن مسعود. (جوان 2010). استراتيجية تطوير المناهج التعليمية من منظور واقعي. جوان 2010، 348.
- جمهورية مصر. (2010). وطننا العربي؛ ظواهر جغرافية وحضارية إسلامية لـ طلبة الصف الثاني الاعدادي . مصر: بنك المعرفة المصري.
- جميلة حيدرة. (جوان 2017). المناهج التربوية كواجهة ثقافية للمجتمع. مجلة العلوم الاجتماعية والانسانية، 173.
- سلامة الخميسي. (2009). دراسات في التربية العربية وقضايا المجتمع العربي. مصر: دار المعرفة الجامعية .
- عبد الرحمن النقيب. (فيفري 2011). أزمة القيم في المناهج التربوية على الصعيد العالمي وانعكاساته على التربية في العالم الاسلامي " ، بحث مقدّم إلى الدورة التدريبية حول؛ القيم في الظاهرة الاجتماعية، مركز الحضارة للدراسات . الدورة التدريبية حول؛ القيم في الظاهرة الاجتماعية (صفحة ص162). القاهرة: مركز الحضارة للدراسات .
- عبد الرحمن النقيب، " ، بمركز الحضارة للدراسات. (6 الى 11 فيفري 2010). أزمة القيم في المناهج التربوية على الصعيد العالمي وانعكاساته على التربية في العالم الاسلامي. الدورة التدريبية حول القيم في الظاهرة الاجتماعية (صفحة 162). مصر: مركز الحضارة للدراسات .
- عبد عليّ محمد حسن. (ديسمبر 2001). رؤية مستقبلية للمناهج المدرسية. مجلة العلوم التربوية والنفسية، 140.
- عزيز ابراهيم مجدي. (2000). موسوعة المناهج التربوية. القاهرة: مكتبة الانجلو المصرية .
- علي أسعد وطفة. (مارس 2010). الرسائل الصامتة في المدرسة. المجلة التربوية، 65.
- محمد يونس مجدي. (ماي 2015). رؤية نقدية للأوضاع التربوية الراهنة في مصر. مجلة نقد وتنوير، 29.
- محمود قمير. (2006). دراسات في التعليم العربي و تطويره. عمان: جدارا للكتاب العالمي للنشر و التوزيع.
- مصطفى أحمد قطب سانو. (1993). النظم التعليمية الوافدة في إفريقيا؛ قراءة في البديل الحضاري. مجلة كتاب الأمة، 113.
- مصطفى الأشرف. (2007). الجزائر: الأمة والمجتمع. الجزائر: دار القصة للنشر .
- Lewis Pyenson .(March 2002 .)Comparative History of Science .History of Science review ، 33